المقدمة

يمثل التاريخ الحضاري لدى الأمم الواعية رصيدا لا غنى عنه لبداية واستمرار الظاهرة الحضارية كما يمثل من جهة أخرى حافزا مهما يدفع أبناء الأمة إلى ولوج مرحلة العمل والإبداع بعد مرحلة دراسة واستيعاب دور أمتهم الحضاري في العصور السالفة، ولا شك أننا كأمة إسلامية رفعت شعلة الحضارة في مرحلة تاريخية في أمس الحاجة إلى دراسة هذه المرحلة ليس بهدف الإشادة بانجازاتها والتغني بأمجادها بل بهدف استخلاص العبرة من هذه التجربة الحضارية وذلك بدراستها دراسة نقدية تحليلية تغوص إلى الجذور قبل أن تتناول الثمار وتركز على العوامل قبل أن تصل إلى النتائج.

أن الحركة العلمية تمثل أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية ليس بحكم غزارة الإنتاج العلمي فقط بل لارتباط هذه الحركة بالإسلام منذ أن تلقى محمد ﷺ أول كلمة في غار حراء وهي(إقرأ) التي كانت أيذانا ببداية عصر العلم من جهة وإشارة إلى الارتباط الوثيق بين الإسلام والعلم من جهة أخرى في الوقت الذي كان فيه رجال الدين في أوروبا يحاربون النظريات العلمية ويحجرون على عقول الباحثين باسم الدين.

لقد نالت الحياة العلمية في الحضارة الإسلامية حقها من قبل المؤرخين الذين تناولوا جوانب الحياة العلمية، ولكن ما لاحظناه من تركيز هذه الجهود على ثمار النهضة العلمية المتمثلة في العلماء واكتشافاتهم العلمية في مختلف فروع المعرفة هو ما دفعنا إلى محاولة دراسة جذور هذه النهضة العلمية والتركيز على المؤسسات التعليمية باعتبارها الإطار المكاني والمنهجي الذي تخرج منه هؤلاء العلماء الذين اشتهروا بما أضافوه إلى رصيد المعرفة الإنسانية وأهمية دراسة هذا الموضوع فيما نرى تكمن في أن هذه المؤسسات كانت استجابة ناجحة للأمر القرآني (إقرأ) وحيث أن هذا الأمر لا يخضع لظروف زمانية أو مكانية معينة فالمطلوب منا الاستجابة الواعية المتناسبة مع ظروف العصر وتكرار تجربة النهضة العلمية في الحضارة الإسلامية مع مراعاة تغير الظروف وتجدد الوسائل.

من هذا المنطلق تم اختيار موضوع المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول كعنوان لهذه الدراسة وحاولنا تتبع نشأة هذه المؤسسات وتطورها مع تطور الحضارة الإسلامية ، كما حاولنا رصد بعض الآراء التربوية التي أثبتت سبق المسلمين لكثير من النظريات التربوية الحديثة، وقد تم اختيار العصر العباسي الأول كإطار زماني لهذه الدراسة لعدة أسباب منها أن هذا العصر شهد دروة الازدهار العلمي للحضارة الإسلامية بحكم وعي خلفاء هذا العصر وتشجيعهم للحركة العلمية واختلاط العرب بغيرهم من الأمم بعد استقرارهم في بغداد بما أتاح لهم عن طريق الترجمة التعرف على الجهود العلمية التي سبقتهم، كذلك من أسباب اختيار هذه الفترة أنها فترة رسوخ وانتظام طرائق التعليم في المؤسسات التعليمية بعد أن تجاوزت فترة النشؤ والتطوير في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي وهي من جهة أخرى تمثل مرحلة التمهيد لظهور المدارس كمؤسسات تعليمية منظمة تحت رعاية الدولة، كذلك فإن هذه الفترة تمثل مرحلة نضج العلوم وبداية ظهور التخصص وبروز علوم جديدة أخذت مكانها إلى جانب العلوم الدينية التي تم التركيز عليها في الفترة التي سبقت العصر العباسي.

لقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع للإجابة على جملة من التساؤلات من بينها:

- إلى أي مدى تأثرت المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول بما قبلها من مؤسسات ظهرت في فترة صدر الإسلام وتطورت في العصر الأموي؟
- ما مدى تأثير التيارات الثقافية التي شهدها العصر العباسي الأول على هذه المؤسسات ؟
- ما حجم تدخل الدولة في دعم هذه المؤسسات ؟
- كيف تعلم هؤلاء العلماء حتى وصلوا هذه المكانة الكبيرة ؟
- كيف كانت أوضاع المعلمين والطلاب في هذه المؤسسات؟
- ما هي الطرق التربوية التي عرفت طريقها إلى هذه المؤسسات ؟

إن محاولة الإجابة على هذه التساؤلات يشكل دراسة لجذور النهضة العلمية التي شهدها العصر العباسي الأول، فالعلماء الذين نالوا شهرة واسعة في ميادينهم كانت قد شهدتهم الكتاتيب صبية صغار يتلقون المعارف الأولية ، كما شهدتهم حلقات المساجد شباناً يافعين يتحلقون حول كبار العلماء ليتزودوا من علومهم المختلفة ويترددون على منازل العلماء وحوانيت الوراقين والمكتبات ليكونوا أساس شهرتهم العلمية .

لقد تكونت هذه الدراسة من خمسة فصول هي كما يلي:

الفصل الأول: يتناول أماكن التعليم في فترة ما قبل الإسلام وبداية ظهور المؤسسات التعليمية في عصر صدر الإسلام وتطورها في العصر الأموي ويعتبر هذا الفصل مدخلاً ضرورياً للدراسة باعتباره يتناول جذور المؤسسات التعليمية التي شهدها العصر العباسي الأول ويتحدث عن دور الإسلام في الحث على طلب العلم بما كفل وجود تربة خصبة لظهور ونمو هذه المؤسسات.

الفصل الثاني: تناول المؤسسات التعليمية في العصر العباسي من حيث أماكن وجودها والمناهج التي كانت تدرس بها وكان من أبرز هذه المؤسسات الكتاتيب والمساجد وقصور الخلفاء وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء والمكتبات، بالإضافة إلى البادية التي قصدها الطلاب لتعلم اللغة العربية على أساسها الصحيح.

الفصل الثالث: يتناول أوضاع المعلمين في المؤسسات التعليمية من ناحية اجتماعية ومالية وتباين المكانة بين المعلمين والمؤدبين الذين اتصلوا بالخلفاء كمؤدبين لأولادهم، كما تناولت في هذا الفصل موضوع الشروط التي يجب أن تتوفر في المعلمين وموضوع الإجازات العلمية التي تؤهل المعلمين للتصدي للتدريس.

الفصل الرابع: يتناول أحوال الطلاب في المؤسسات التعليمية من حيث السن التي تسمح لهم بالالتحاق بالمؤسسات، وكذلك الأوقات المخصصة لإلقاء الدروس ، كما تناول هذا الفصل تأديب الطلاب ثواباً أو عقاباً وأخيراً يتحدث هذا الفصل عن تعليم المرأة.

الفصل الخامس: يتناول طرق التعليم في المؤسسات التعليمية وتباين هذه الطرق بين مؤسسة وأخرى ، كذلك تحدث هذا الفصل عن الوسائل المستعملة في المؤسسات التعليمية كالقلم والدواة والورق وغيرها من الوسائل التي عكست الازدهار الحضاري في العصر العباسي الأول.

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على الأسلوب التحليلي الذي يعتمد على استقراء النصوص وتحليلها والمقارنة بينها لاستنتاج الأفكار التي تكون عناصر البحث، وحيث أن موضوع البحث تغلب عليه الصبغة الحضارية فقد تنوعت مصادر هذه النصوص بين تاريخية ودينية وأدبية، وسنحاول فيما يلي إلقاء الضوء على نماذج من أبرز المصادر والمرجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

دراسة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث:ـ

لقد استفادت هذه الدراسة من مصادر ومراجع مختلفة وان اختلف مقدار الإفادة بين مصدر وآخر ولا نستطيع هنا أن نعرف بكل المصادر والمراجع ولكننا سنختار نماذج من أبرز المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة متحرين تنوع هذه المصادر من حيث الاختصاص.

أولا: المصادر:

أ- المصادر التاريخية:

يجب أن نلاحظ في البداية أن أغلب المؤلفات التاريخية قد غلب عليها الطابع السياسي فجاءت تأريخا للصراعات الداخلية حول الحكم وتتبعا لسير الشخصيات السياسية، ولكننا نجد في بعض هذه المصادر إشارات استفادت منها الدراسة ومن أبرز هذه المصادر:

1- (**مروج الذهب ومعادن الجوهر**) للمسعودي (علي ابن حسين ت 346 هـ) وتكون

هذا الكتاب من أربعة أجزاء وقد استفادت الدراسة من معلومات هامة في الجزئين الثاني والثالث حول أوضاع المؤدبين وحلقات العلم في المساجد وقصور الخلفاء.

2- **(تاريخ الرسل والملوك)** للطبري (محمد بن جرير ت 310هـ) وتكون من عشرة أجزاء وقد استفادت الدراسة من الأجزاء (3-4-8) في الحصول على بعض المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة.

3- **(تاريخ الإسلام)** للذهبي (محمد بن احمد ت 748 هـ) الذي تكون من ستة وعشرين جزءا حيث أمكن من خلال الاطلاع على الشخصيات التي ذكرها الذهبي في الأجزاء (4-5-6) من كتابه أن نتعرف على بعض المعلومات المتعلقة بالمعلمين والمؤدبين وطرق ووسائل التعليم.

4- **(عيون الأخبار)** لابن قتيبة (عبدالله بن مسلم ت 276 هـ) وقد تناول أوضاع المعلمين والكتاتيب من حيث هيكليتها ومواد التعليم فيها كما تطرق لتعليم المرأة والى الوسائل المعينة على التعليم في الأجزاء (1-2) من هذا الكتاب.

5- **(تاريخ الخلفاء)** للسيوطي (جلال الدين عبدالرحمن ت 911 هـ) فعلى الرغم من غلبة الطابع السياسي عليه باعتباره يؤرخ للخلفاء إلا أنه أورد بعض المعلومات المتعلقة برعاية الخلفاء للحركة العلمية واهتمامهم باختيار مؤدبين أكفاء لتأديب أولادهم.

ب- المصادر الدينية:

كان للتعاليم الإسلامية دور كبير في ظهور وازدهار المؤسسات التعليمية لذلك أصبح من الضروري الاطلاع على بعض كتب التفسير والحديث للتعريف بهذا الدور لذلك اعتمدت الدراسة على:

1- **(جامع البيان في تفسير القرآن)** للطبري (ت 310 هـ) الذي تكون من أثنى عشر جزءاً حيث استفادت الدراسة من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

2- (**تفسير القرآن العظيم**) لابن كثير (إسماعيل بن عمرو ت 774 هـ) الذي تكون من أربعة أجزاء وقد استفادت الدراسة من الجزء الرابع في تفسير الآيات التي تحث على طلب العلم.

3- (**صحيح البخاري**) للبخاري (محمد بن إسماعيل ت 256 هـ) الذي تكون من ستة أجزاء وقد استفادت الدراسة من الجزء الأول والسادس.

4- (**سنن ابن ماجة**) لابن ماجة (محمد بن يزيد ت 275 هـ) الذي تكون من أربعة أجزاء واستفادت الدراسة من الجزء الأول في ذكر الأحاديث النبوية التي شكلت مع الآيات القرآنية الإطار النظري لظهور وازدهار المؤسسات التعليمية.

5- (**أحياء علوم الدين**) للغزالي (أبو حامد محمد بن محمد ت 505 هـ) الذي تكون من عشرة أجزاء واستفادت الدراسة من الجزء الأول من هذا الكتاب.

6- (**رياض الصالحين**) للنووي (يحيى بن شرف ت 676 هـ) وقد استفادت الدراسة من هذا الكتاب في ذكر الأحاديث التي تحث على طلب العلم.

ج- المصادر اللغوية والأدبية:

لقد شكلت المصادر اللغوية والأدبية الجانب الأكبر من مصادر هذه الدراسة باعتبارها ترصد الحياة الثقافية في تلك الفترة ومن أهم هذه المصادر:

1- (**البيان والتبين**) للجاحظ (عمرو بن بحر ت 255 هـ) الذي تكون من أربعة أجزاء واحتوى على الكثير من المعلومات المتعلقة بالكتاتيب والمساجد وأوضاع المعلمين والمؤدبين، وتأتي أهمية كتب الجاحظ من معاصرته للأحداث حيث عاش في صميم العصر موضوع الدراسة ورسم لنا بأسلوبه الأدبي مظاهر هذا العصر وقد استفادت الدراسة من الجزء الأول والثاني من هذا الكتاب.

2- (**الأغاني**) للأصفهاني (أبو الفرج علي بن حسين ت 356 هـ) وقد احتل هذا الكتاب مكانا بارزا بين الكتب الأدبية التي أفادت الدراسة ويتكون هذا الكتاب من خمسة

وعشرين جزءا واستفادت الدراسة من أغلب أجزاء هذا الكتاب حيث قدم لنا مادة غزيرة شملت الكتاتيب ووسائل التأديب وحلقات المساجد ومواعيد التعليم كما تناول موضوع تعليم المرأة بشكل موسع.

3- **(محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء)** للاصبهاني (حسين بن محمد ت 502 هـ) فقد تكون من أربعة أجزاء واستفادت الدراسة من الجزء الأول الذي تناول أوضاع المعلمين والمناظرات العلمية التي كانت تعقد في قصور الخلفاء ومنازل العلماء.

4- **(صبح الأعشى في صناعة الإنشاء)** للقلقشندي (أحمد بن علي ت 821 هـ) الذي تكون من أربعة عشر جزءا وقد استفادت الدراسة من الأجزاء (1-2-3-4) خاصة في ما يتعلق بطرق وأساليب التعليم وكذلك الوسائل المستعملة في المؤسسات التعليمية.

د- كتب التراجم والطبقات:

لقد حفل تراثنا العلمي بأعداد كبيرة من المؤلفات التي تتحدث عن طبقات معينة أو تراجم لشخصيات علمية، وقد استفادت الدراسة من هذه المؤلفات التي من أبرزها.

1- **(وفيات الأعيان)** لابن خلكان (احمد بن محمد ت 681 هـ) الذي تكون من سبعة أجزاء وقد استفادت الدراسة من معظم هذه الأجزاء في الحصول على معلومات تتعلق بالموضوع.

2- **(إنباه الرواة على أنباء النحاة)** للقفطي (جمال الدين على ابن يوسف ت 624 هـ) الذي تكون من أربعة أجزاء وقد استفادت الدراسة من كل أجزاء الكتاب رغم اقتصاره على طبقة النحويين فانه قدم لنا معلومات جيدة عن الكتاتيب والمساجد وحوانيت الورقين والرحلات العلمية إلى البادية.

3- **(معجم الأدباء)** للحموي (ياقوت بن عبدالله ت 626 هـ) الذي تكون من خمسة

أجزاء واستفادت الدراسة من كل هذه الأجزاء في مجال أوضاع المعلمين والمؤدبين وشروط اختيارهم، كما تناول الحلقات العلمية في المساجد والقصور.

4- **(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)** للأصفهاني (أحمد بن عبدالله ت 430 هـ) الذي تكون من عشرة أجزاء وقد استفادت الدراسة من الأجزاء (1-3-6-9) حيث تناولت هذه الأجزاء أوضاع المعلمين في الكتاتيب والمساجد وبعض طرق التعليم.

هـ - المصادر التي تناولت موضوع الدراسة بشكل مباشر:

يعتبر هذا النوع من المصادر قليل إذا قورن بالمؤلفات التي كتبت في الأغراض الأخرى وقد استفادت الدراسة من مصدرين مهمين في هذا الجانب وهما:

1- **(آداب المعلمين)** لابن سحنون (محمد بن أبي سعيد ت 256 هـ) الذي تناول معلمي الكتاتيب ومكانتهم وشروط اختيارهم كما أفاد الدراسة في مواد التعليم وأوقاته وأساليب العقاب.

2- **(تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم)** لابن جماعة (إبراهيم بن أبي الفضل 773 هـ) الذي ركز على أساليب التعليم وبين العلاقة المثالية بين المعلم وطلابه كما تحدث عن أوضاع المعلمين والمؤدبين الاجتماعية والمالية.

ثانيا: المراجع:

لقد استفادت الدراسة من بعض المراجع بشكل كبير في التوجيه إلى المصادر الأصلية كما احتوت هذه المراجع على بعض الأفكار التي أفادت الدراسة ومن ابرز المراجع التي تناولت الموضوع بشكل مباشر.

1- **(التربية الإسلامية)** لأحمد شلبي الذي تحدث عن المؤسسات التعليمية من خلال تناوله لتاريخ التربية الإسلامية وان كان يميل إلى الاختصار أحيانا.

2- **(التربية والتعليم في الإسلام)** لمحمد اسعد طلس الذي تحدث عن تطور المؤسسات التعليمية.

3- (**التربية الإسلامية**) لمؤلفه محمد منير مرسي الذي تضمن بعض المعلومات والأفكار المتعلقة بموضوع الدراسة.

4- (**دور الكتب العربية العامة وشبه العامة**) ليوسف العش الذي تحدث باستفاضة عن دور المكتبات كمؤسسات تعليمية.

5- (**التربية العربية في العصر الجاهلي**) لسعيد إسماعيل الذي أفاد الدراسة في فصلها الأول بحديثه عن الحياة العلمية وأماكن التعليم في العصر الجاهلي.

6- (**أصالة الحضارة العربية**) لناجي معروف الذي تناول المؤسسات التعليمية ضمن حديثه عن الحضارة العربية الإسلامية.

7- (**العصر العباسي الأول**) لشوقي ضيف وقد أفاد الدراسة بتناوله الحياة الأدبية خلال العصر العباسي الأول.

8- (**الأندية الأدبية في العصر العباسي**) لعلي محمد هاشم، وقد أفاد الدراسة بإعطاء الباحث صورة وافية عن الحياة الثقافية في العصر العباسي الأول.

في الختام لابد من الاعتراف بأن اتساع مجال التاريخ الحضاري يجعل الجهود الفردية قاصرة عن استكمال دراسة جوانب هذا التاريخ المتشعب المواضيع، خاصة إذا كان الإطار الزماني لمثل هذه المواضيع فترة حضارية مزدهرة كالعصر العباسي الأول، ولا تعدو هذه الدراسة مقارنة بالدراسات السابقة عن أن تكون محاولة متواضعة لتناول هذا الموضوع ودعوة ملحة لاستكمال دراسة جوانب هذا التاريخ المتشعب المجالات.